

نداء القلوب

وقد أثار في نفسي كثيرا من مشاعر التقدير. والإحساس بالسعادة لدلالة ما قدمه على رسوخ المودة بيننا على الرغم من أنني لم أحظ بلفائه حتى اليوم. ولكن ما قام به كفيل بإثارة هذه المشاعر التي عبرت عنها. ذلك لأنني قرأت له ما أسعدني وأشعرني بأن لي أخا أعزّ ياخونه.

وفيما يلي تفصيل ذلك كما كتبته في لحظة تأثر شديد.

- الأخ السعودي أحمد العساف يقول في ملاحظة قد تصلح مدخلاً لدراسة علاقة الأسماء بالمكان إن كل كويتي اسمه يوسف يتأمل منه وفيه خيراً**
- العساف أوضح أن تاريخ الكويت في العلم والقضاء والتجارة والفوص يحتفظ برجال يحملون اسم "يوسف" بل حتى يادخال «الشاي» إلى البلاد!**

- انقطعت عن الدراسة في مدرسة ملا محمود وانتقلت إلى الدراسة النظامية في «الأحمدية» عام 1947 ولا أزال أتذكر تلك الأيام وأحتفظ بشهاداتي**
- مشروب الشاي عرف في الكويت ابتداءً من سنة 1898 ولهذا المشروب الشعبي عندنا حكاية تستحق الذكر.. وهذا ما حدث في العام 1938**

عليه الجميع، ما دفع التجار إلى استيراده لسد حاجة المستهلكين منه، وكان معظم الشاي إن لم يكن كله يرد من الهند يتعاون بين تجار الكويت والتجار الهنود، ولأهمية هذه المادة بالنسبة للتجارة الهندية آنذاك فقد كانت حكومة الهند تضع لها شروطا تضبط عمليات التصدير، وعندما يقوم أحد التجار بنقل كمية من الشاي دون أن يراعي هذه الشروط فإنه يتعرض إلى مخاطر جمة.

وفي سنة 1938م جدت اشتراطات إضافية عرقلت عمل التجار الكويتيين في مجال تجارة الشاي، فكتب عدد منهم رسالة إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح يشكون فيها الحال المستحثة قائلين: «أما فرض حالات استثنائية وطلب شهادات إضافية ما يسبب إرهاق التجارة، ويعطل مصالحنا مع كونها مخالفة للأصول التجارية على وجه العموم، فلذا نكرر التماسنا يا صاحب السمو بلفت نظر سموكم للعمل لإنقاذنا من هذه الحالة الشاذة».

وقد وقّع على هذه الرسالة عدد كبير من رجال الكويت المشغولين في هذا الحقل، منهم عبدالرحمن محمد البحر، ويوسف بن عيسى القناعي وخالد العبدالمطيف الحمّد، ومشعان الخضير، وأحمد محمد الغانم وغيرهم، ولقد لفتت هذه الرسالة نظر الشيخ أحمد الجابر إلى أن الأمر خطير وموثر على التجارة بصفة عامة بدليل اجتماع هذا العدد الكبير من أبناء الكويت البارزين في ذلك الوقت.

□□□

وهنا نعود إلى ما ذكره الأستاذ العساف – عرضا – عن النشاط المجتمعي، والاقتصادي في الكويت قديما، وقد بدأ هذا النشاط يأخذ مسارا واضحا متجددا منذ مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، فقد لوحظ أن نشاطا من هذا النوع: «مقنوعا ومهما لكافة الناس يستلزم وجود أجهزة حكومية تنتظم الحياة، وتيسر سبل العيش للناس، وتكفل أمنهم وأرحتهم. ومن الملاحظ في هذا الشأن أن كثيرا من أبناء الكويت كانت لهم مساهمة في هذا الاتجاه، حين اتخذت هذه المساهمة شكلا عمليا بإنشاء الدوائر الحكومية المتخصصة بالخدمات العامة لكي تتولى القيام بابعاء تسخير المرافق المختلفة في البلاد. وكان أول مرفق من هذا النوع هو إدارة بلدية الكويت. وكان أول مجلس منتخب جرى تشكيله لهذه الإدارة مكونا من: الشيخ عبدالله الجابر الصباح رئيسا، وكل من: سليمان العدساني – السيد علي سليمان – الشيخ يوسف بن عيسى القناعي – محمد الأحمد الغانم – نصف اليوسف النصف – أحمد الفهد الخالد – مشعان الخضير – عبدالرحمن بن بسر – خليفة بن شاهين الغانم – يوسف الصالح الحميصي – مشاري الروضان – مشاري الحسن البدر – السيد زيد السيد حمّد.

ولقد سارت بلمية الكويت سيرا حثيثا منذ تأسيسها، وكانت تتولى القيام بعدد من الأعمال بفوق طاقتها، ولكن إخلاص القائمين عليها في المجلس وفي الإدارة العامة كان كافيا لتسهيل أي صعوبة قد تعترض سبيلها، ولا يزال هذا الجهاز المهم عاملا حتى اليوم.

وبناء بعدد ذلك دور التعليم، وكان النشاط الأهلي قد نقل هذا المرفق نقله نوعية مهمة بافتتاح أول مدرسة نظامية هي المدرسة المباركية التي بدأت الدراسة بها في السنة الدراسية 1911 – 1912م، ثم لحقت بها بعض المدارس. وفي سنة 1936م بدا أن تبار التعليم سوف يتسع، فاحتاج المهد إلى جهاز يشرف عليه، فنشأ في هذه السنة مجلس المعارف الذي اختير لرئاسته الشيخ عبدالله الجابر الصباح ولعضويته كل من: الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ونصف اليوسف النصف، وأحمد خالد المشاري، ومحمد أحمد الغانم، ويوسف الصالح الحميصي، وسليمان خالد العدساني، وعبدالله حمد الصقر، ويوسف عبدالوهاب العدساني، ومشاري الحسن البدر، والسيد علي السيد سليمان، وسلطان إبراهيم الكليب، ومشعان الخضير الخالد.

ونشأت بناء على ما ارتآه هذا المجلس دائرة معارف الكويت التي سارت بالتعليم إلى مده منذ ذلك الوقت.

ولا شك في أن الأستاذ أحمد عبدالمحسن العساف سوف يلتفت إلى وجود ثلاثة من الأعضاء في هذين المجلسين اسمهم المشترك هو «يوسف».

□□□

وفي الختام، أعود إلى تقديم الشكر إلى الأستاذ العساف على كل ما ورد في حديثه الشيق الذي قدمه لمتابعيه الكثيرين من خلال موقعه الذي أشرنا إليه في البداية.

وهكذا تدوم المودة، ويستمر التآخي والترابط وفق ما يدعوننا إليه ديننا الحنيف.

جزاك الله خيرا يا أخي أحمد، فقد حركت ساكنا، وأثرت ذكريات ينبغي ألا ننساها، فعادت بما كتبته أنت حية يقطعة.

خالي وما قلت القصيد فافخرا
لا زالت فيه وإن أطلت غلاما
فلن شوبت فقد جعلتك مرشدا
ولقد تجذلتك في القريض إماما

□□□

هذا هو بعض ما أثاره في نفس ما كتب الأخ الفاضل الأستاذ أحمد العساف، غير أن هناك شيئا لا بد منه وهو العودة إلى اسم: يوسف الذي لم يتم حديثه عنه من المطلق الذي ابتداء به، وليس هذا نوعا من الانتقاد، ولكنه أمنية نتمناها عليه وهي أن يعود إلى هذا الأمر بما هو أوسع. ونلاحظ – أيضا – أنه أشار إلى مسألة الشاي في الكويت قديما، وكان لهذا المشروب الشعبي عندنا حكاية تستحق الذكر، وقد سبق لي أن نشرت عنها مقالا

وقد ذكرت في هذا المقال أن مشروب الشاي قد عرف في الكويت ابتداء من سنة 1898م. ومن المهم أن نقرأ معا هذه الفقرة التي تدل على ما حدث بشأن هذا المشروب عندنا في الفترة التي عناها الأستاذ العساف فيما أظن، وهذه هو نص الفقرة المقصودة: «لم تات نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي إلا وقد أصبح (الشاي) مادة استهلاكية رئيسية في الكويت، وأقبل



داود سليمان الجراح

وقد تلقيت من الخال الشيخ محمد الجراح دروسا أخرى منها شرح منظومة الآداب، وهي منظومة مشهورة عند ذوي العلم وقد شرحها محمد بن أحمد السفاريني، ودروسا أخرى متنوعة. كما أذكر أن الخال داود سليمان الجراح – رحمه الله – كان في فترة من الزمان في الهند في زيارة لها، فأرسل إلى قصيدة يتحدث فيها عن اغترابه، وشوقه إلى وطنه وأهله وأولده. فرددت عليه يوم ذاك بقصيدة مثلها. ومما قلته فيها:



أحمد بن عبدالحسن العساف

وأذكر أنني قرأت على خالي الشيخ محمد سليمان الجراح كتاب «دليل الطالب» في الفقه الحنبلي، واستفدت منه كثيرا، وبقي في ذهني إلى أن كتب الله – عز وجل – لي أن أحوله من كتاب منظور إلى أرجوزة شعرية منظومة. وقد أوردت في مقدمتها قولي عن الكتاب:

ثم أخذت درسه عن خالي
ولا يزال راسخا في بالي
خالي ابن جراح الذي قد عرفنا
محمد، وهو سني المصطفى

7 من أبناء الكويت البارزين يحملون اسم «يوسف»



يوسف صالح الحميصي



يوسف بن حسين الرومي



يوسف بن عيسى القناعي



يوسف البكر

وتعلم في الكويت لدى الكتاتيب وتعلم القراءة والكتابة عيسى، ولكنه أثر القيام بالتدريس دون الإدارة. توفي في سنة 1923م. 3- يوسف البدر: كان تاجرا مشهورا بتجارة الخيل وتصديرها، وكان أيضا طواشا (بييع ويشترى اللؤلؤ من الغواصين) وله أعمال خير كثيرة تذكر له إلى يومنا هذا، وكانت وفاته في سنة 1879م. 4- يوسف بن عيسى القطلبي: من أشهر قادة السفن الشراعية (نوخذة) استدل على أماكن بعيدة وصل إليها بسفينته قبل غيره من أتاده الكويتيين، وكان ذلك عند وصوله إلى ميناء بورسودان على البحر الأحمر، وكانت وفاته في سنة 1929م. 5- يوسف الحميصي: رجل بارز في الأنشطة الوطنية ومشارك في كثير من الأعمال عن طريق عضويته في مجالس إدارة بعض الدوائر الحكومية، ولد في سنة 1897م،

اختياره ناظرا لها بعد ناظرها الأول الشيخ يوسف بن عيسى، ولكنه أثر القيام بالتدريس دون الإدارة. توفي في سنة 1923م. 3- يوسف البدر: كان تاجرا مشهورا بتجارة الخيل وتصديرها، وكان أيضا طواشا (بييع ويشترى اللؤلؤ من الغواصين) وله أعمال خير كثيرة تذكر له إلى يومنا هذا، وكانت وفاته في سنة 1879م. 4- يوسف بن عيسى القطلبي: من أشهر قادة السفن الشراعية (نوخذة) استدل على أماكن بعيدة وصل إليها بسفينته قبل غيره من أتاده الكويتيين، وكان ذلك عند وصوله إلى ميناء بورسودان على البحر الأحمر، وكانت وفاته في سنة 1929م. 5- يوسف الحميصي: رجل بارز في الأنشطة الوطنية ومشارك في كثير من الأعمال عن طريق عضويته في مجالس إدارة بعض الدوائر الحكومية، ولد في سنة 1897م،

لقد رجعت بذكريتي إلى البحث عن أبناء الكويت البارزين في الأنشطة المختلفة في البلاد ممن أسمه: يوسف، فوجدت عددهم كثيرا يجعل إدراج أسمائهم هنا من الصعوبة بمكان، ولكنني أقدم نماذج لهم فيما يلي: 1- الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وهو أشهر من أن يعرف لأن سمعته كانت ولا تزال عالية في سماء الكويت وله مشاركة في كثير من الأعمال منها عضوية عدد من مجالس إدارات الحكومة وكان مديرا للمعارف (التربية) وقاضيا وله مؤلفات منها كتابه الشهير «صفحات من تاريخ الكويت». ولد في سنة 1878م وتوفي في سنة 1973م. 2- الشيخ يوسف بن حمود، كان من تلامذة الشيخ عبدالله الخلف الحيدان علامة الكويت المعروف، وقد لازمته ملازمة طويلة، وكان كثير الاطلاع ولديه مكتبة كبيرة عامرة بأمهات الكتب. قام بالتدريس في المدرسة المباركية عند نشأتها، وتم

يسعد نفس المرء أن تكون له أقوى الصلات مع أبناء عمومته. وهذا هو ما يدعو إلى مداومة الإهتمام المتبادل بينهم، كما يدعو إلى تبادل الزيارات والمخاطبات، حتى لا يؤدي التراخي إلى فرقة تسر العدو ولا تسر الصديق. أقول هذا نتيجة لما طرأ مؤخرا من أخ عزيز من أبناء المملكة العربية السعودية الشقيقة، وهو الأستاذ أحمد عبدالمحسن العساف، الذي عبر في موقعه الخاص على جهاز التواصل عن كرم محنته، وعلو نفسه، حرصا منه على إدامة المودة مع إخوانه أبناء الكويت، ولا شك في أن هذا الشعور مشترك بين الطرفين. فحقن هنا نكن لشعب المملكة العربية السعودية كل التقدير والاحترام.

دون هذا الرجل الفاضل موضوعا جعل عنوانه «أبناء يوسف الغنيم، ومغانم شتي»، وقد اتخذ هذا العنوان مدخلا عبر من خلاله عن طيب عنصره، وسماحة نفسه حين تحدث عني وعن أخوي الدكتور مرزوق والدكتور عبدالله، وعن والدنا رحمه الله. ولقد كان حديثا أراه يحتوي على تعبير صادق عن المودة التي تجمعنا به مع عدم تمتعنا بلفائه. لقد تم ما كتبه عن نفس رجل مثقف غزير الثقافة، قارئ مكثر للقراءة، عالي الهمية في تتبع تاريخ جزيرة العرب التي تحضننا كما تحضن دول الخليج العربية الأخرى.

ونحن الإخوة الثلاثة الذين نكرم فقعد على ذكرهم مقاله هذا لعلي يقين من أن شكرنا له لن يفي بما له من حق علينا. ابتداء الأستاذ العساف حديثه اللطيف بعبارات كانت مدخلا جيدا لما أراد الوصول إلى التعبير عنه، فكان ذلك في كلمة معبرة عن طبيعته الطيبة، وروحه التواقة إلى التواصل مع الغير، ومحبة لكل من يحيط به. ومع ذلك فهي عبارات توحى باهتمامه بمتابعيه كل ما ينشر من كتب لها علاقة بما يحب أن يلم به، خاصة حين يكون هذا مما له علاقة بالمنطقة وأهلها. ولقد لفت نظري ما أوحى به إلى قرائه رغبة منه في أن يبين لهم سر اهتمامه بالموضوع الذي يقدمه لهم. فذكر من ذلك أنه يملك انطبعا خاصا يدور حول كل ما اسمه «يوسف».

يقول الأخ الكريم: «قبل أزيد من عشرين عاما، شغلت بالبحث والقراءة عن تاريخ الكويت العزيزة، وسبر بعض أعلامها، لغتت نظري ملاحظة عابرة، يصعب بناء حكم عليها، أو تعميمها، لكنها قد تصلح مدخلا لدراسة علاقة الأسماء بالكان إن كان بينهما علاقة! خلاصة هذه الملاحظة أن تاريخ الكويت في العلم، والقضاء، والزعامة المجتمعية، والتجارة، والغوص، يحتفظ برجال يحملون اسم «يوسف»، بل حتى في إدخال «الشاي» أو بعض أنواعه إلى الكويت! من حيثنا يستوقفني أي كويتي اسمه «يوسف»، فأتامل الخير منه وفيه، ولا أجزم».

وقان هذا مدخلا مغريا للقارئ يفتح له الباب لكي يستطلع ما وراء هذا القول. لأن الأمر الذي أشار إليه الأخ الكريم بعيد عن أذهان كثير من الناس، ولم أجد أحدا من قبله قد أشار إلى مثل ذلك فقال عن اسم يوسف إن له ميزة يخصص بها من بين كل حاملي الأسماء الدارجة. فقد استنتج من قراءته لتاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي أن حامل اسم «يوسف» يكون غالبا من الموصوفين بالخير، حقا أنه لم يجزم بذلك، ولكنه أشار إلى أن هذا الأمر يستوقفه، وقد دعاه – فيما يبدو – إلى البدء بالحديث عن والدنا يوسف غنيم الغنيم، رحمه الله. ولقد كان ظنه في محله إذ لم نجد في والدنا إلا كل خير. وكان هذا في تربيته لنا وفي علاقته بالآخرين. وقد كان حريصا على أن ننحلي بالأخلاق الفاضلة وأن تكون علاقاتنا بأبناء الحيوان علاقة طيبة يزينها الود والتعاطف، وعودنا على أن نقابل آباءهم باحترام شديد حتى امتد بنا تأثرنا بذلك إلى يومنا هذا، فكل من كان يسكن في جوارنا بالأمس نعتبره اليوم واحدا من أهلنا، أما عن اهتمامه بتعليمنا فهذا أمر لا يوصف.

وفي كتابي «همس الذكريات» الذي اطلع الأستاذ العساف عليه، وصف لبعض اهتمامه هذا. ومما ورد هناك قولِي بعد أن تحدثت عن التحاقِي بالمدرسة الأهلية: ولم يطل بي المقام في هذه المدرسة، إذ بدأ الناس يهتمون بالتعليم النظامي، وكانت المدرسة الأحمدية محط نظر، والدي الذي كان – رحمه الله – يرغب في أن انتظم فيها على خلاف كثير من الآباء – آنذاك – الذين وقفوا وفقة التشكك من هذه المدارس الجديدة هيبة من الجديد ورغبة في القديم.

نتيجة لرغبته انقطعت عن الدراسة في مدرسة ملا محمود، وانتقلت إلى الدراسة النظامية بالمدرسة الأحمدية، كما أشرت في بداية هذا الحديث، وكان ذلك في العام 1947م. والغريب أنني لا زال أتذكر تلك الأيام الجميلة التي قضيتها في المدرسة الأحمدية، وأحتفظ بالشهادات الدراسية التي حصلت عليها منها، بل وأحتفظ بصورة جميلة لي ولزملائي حين كنا في

قناة المدرسة الاحمدية